

الأمن الفكري ومتغيرات المغالبة

الدكتور أبو عبد الله غلام الله
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

[الصوم]

وهي التي وصفها الإمام علي كرم الله وجهه بقوله: **(خير الأمة النمط الأوسط، يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي)**. [عيون الأخبار لابن قتيبة: 326/3/1]. والتي أكد مطرف خيريتها فيما جرى مجرى الأمثال، فقال: **(خير الأمور أوسطها)**. [الجد الحثيث فيما ليس بحديث: 94/1]؛ وهي التي مدحها الشاعر بقوله:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميم
ذلك أن صبغة الوسطية والاعتدال التي هي منهج الحياة الفطري في الدين والدنيا، تتعرض باستمرار للاعتداء،

عندما نريد أن نتكلم عن دور المؤسسة الدينية في تحقيق الأمن الفكري، فإننا نستحضر الإطار المنهجي والموضوعي لتلك المغالبة الواقعة بين قوى فكرية متعددة المشارب ومختلفة المناهج، وبين فكر الاعتدال والوسطية الذي تمثله أمة الإسلام المنشودة، التي نجد نموذجها المحتذى في مثل قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: 143]. ونلتمس معالمها في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم موجّهاً سلمان الفارسي رضي الله عنه: **((إن لبدنك عليك حقاً، وإن نزوجك عليك حقاً، وإن نزورك ضيفك) عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه))** [أخرجه البخاري في كتاب

عينه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ الشعراء: 116؛ ومورس على سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: 78؛ ومارسه فرعون على الملاء من قومه لما طغى في الأرض، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطِيعُ إِلَٰهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ القصص: 38.

إن حماية أمن الأمة، في اجتماعها واقتصادها واستقلالها، يمرّ عبر حماية الأمة من العدوان الفكري الممارس عليها، من داخل حصونها أو من خارج أسوارها، إن بقيت في زمن العولمة الجارفة حصون للأمة أو أسوار.

وإذا كان هذا العدوان ينبع من مصادر شتى، ويستغل وسائل مختلفة لبث سمومه في روع ضعاف العقول، ما يستدعي تجنيد الخبرة العاقلة لصدّ

ولتحدّي قوى التطرف، وتستدعي المحافظة عليها أخذ الحذر وبذل الوسع في ممارستها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظْلَعُوا﴾ البقرة: 217.

فالكلام عن الأمن الفكري هو في حقيقة الأمر كلام عن الإرهاب الفكري، لأن هذا الأخير إذا نفي عن أمة الإسلام، في الاعتقاد والممارسة والسلوك، فإنه يضمن بقاءها على منهج الفطرة المتسم بالاعتدال، ويحافظ لها على الخيرية المنوه بها في غير ما آية، وغير ما أثر وحديث.

والكلام عن تجفيف مصادر الإرهاب الفكري هو كلام عن تجفيف منابع الإرهاب العملي، لأن الإرهاب الفكري في العقيدة والفتوى والسلوك هو الذي يغذي الاعتداء باليد، ويسول للواقعين تحت وطأته المروق عن منهج الوسطية والاعتدال، ومحاولتهم حمل المجتمعات على محاكاتهم في هذا المروق بالقوة والبطش.

ومن قبل مورس هذا الإرهاب الفكري على سيدنا نوح عليه السلام

مخلصا لدينه ووطنه، ولكن ظرفا من الظروف منعه من فهم صحيح لدينه، وتشبع مكين من حبّ وطنه، ولكن هذا الإخلاص لن يمنعه من الاستهزاء بفتاوى العلماء، واعتبار الرجوع إليهم في مدلهما الأمور ضربا من ضروب التخلف، وهو يحاكي أو يريد من المجتمع حيال مشاكله الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية أن يحاكي تجارب الغرب، وأن يفاصل بين الديني والسياسي.

ولا عجب أن يستهدف ذات المسجد إرهاباً فكري يستمدّ من الجهل بالدين، ولي أعناق النصوص، وتصنيع الفتاوى الجاهزة، ويحاول أن يجعل المسجد بديلا عن كل مؤسسات المجتمع الأخرى، فهو ليس فقط مكان الصلاة والذكر، ولكنه أيضا البديل عن المحكمة، وعن مخفر الشرطة، وعن مؤسسات الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية.

وقد يصل الأمر بمثل هذا الإرهاب إلى إلغاء مؤسسات المجتمع، ومغالبتها في الشرعية والصلاحيات، ويبرّر بما كان عليه مسجد المصطفى عليه الصلاة

هجومه من خلال ذلك الوسيط، فإنه في الصورة التي نحن بصدها قد يستعمل المؤسسة الدينية ذاتها في ترويج أفكاره وتجنيّد أتباعه، وهنا تستدعى خبرات وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في ردّ هذا العدوان.

ونحن عندما نتكلم عن العدوان الفكري الذي يمكن أن يستعمل المسجد لممارسة إرهابه للمجتمعات والأمم، فإننا لا نقصد نوعا مخصوصا من الإرهاب، بل نقصده جميعا، لأنه تبين من مسار التاريخ ما للمسجد في قلوب الناس من قدسية، وما له في أفكارهم من تأثير.

فلا عجب أن يهدف الإرهاب الفكري الذي يستمدّ من الفكر اللاديني إلى تحييد المسجد وتهميّشه والحيولة دون تمكينه من التأثير والتوجيه، بدعاوى متباينة منها أن الخطاب المسجدي مجانب للواقع الاجتماعي الجديد أو أنه يغذي التخلف والتحجر ويمنع من التقدم ومواكبة الغرب، أو أنه ينتج التطرّف الديني.

وإن من يتأثر بهذا الخطاب قد يكون

وبقي في خدمتها.

فإذا اشتد التوتر بين المجتمع وبين مصادر العدوان الفكري، أو بين أتباع هذه المصادر عينها فقد يستحيل الإرهاب الفكري بعد ذلك إلى إرهاب عملي، تزهق فيه أرواح هؤلاء وأولئك، وتنتهك حرمااتهم، وتستحل أموالهم، بل قد يصيبهم التفجير والتقتيل الجماعي وسط الأطفال والنساء والعزل ويعتبر من مات من هؤلاء الأبرياء ضحايا يبعثون يوم القيامة على حسب نياتهم.

وهكذا فإن المجتمع الذي يفقد مقوماته الدينية والحضارية، فإنه يتحول تجاه العنف، وهكذا الإنسان إذا لم يهتد بهدي سماوي، ويتبع منهجا وسطيا في الفكر والممارسة والسلوك، فإنه عندما تعوزه الحجة والدليل على ما جنح إليه من أفكار يستحيل إلى ابن آدم الأول الذي قتل أخاه لأنه كان أقوى منه حجة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ المائدة: 27.

فإذا اتخذت مدارس الإرهاب الفكري

والسلام من استجماع هذه المهام؛ مع ما في هذا الإسقاط من التحكم والشطط. وإن مجتمعا يقع تحت طائلة إرهاب فكري ينبع من المسجد ويدور في فلكه هو مجتمع محكوم عليه بالاضطراب والخوف، وهو مجتمع سيتبع أحد قطبي الفكر المتطرف، وسينقلب بالتبع على مكتسبات الأمة التي ينتمي إليها، وسيشك في الموروث الحضاري الذي شيده سلفه.

وقد يعتبر مفهوم حب الوطن بعد ذلك ضربا من ضروب الجاهلية، وأن يعتبر الجهاد ضد أعداء الأمة من أجل تحريرها ضربا من ضروب القتال الخالي من الرسالية، فلا يكون المقاتل فيه مجاهدا، ولا القتل شهيدا. ولا غرابة أن يكون علماء الأمة وهدايتها إلى الخير بعد ذلك في عيون هؤلاء التائهين مجرد علماء سلطان. بل قد يصل الأمر بأتباع هذا الفكر إلى هجر مؤسسات المجتمع بدعوى أن العمل ضمنها تمكين للجاهلية في الاستمرار. ولا يمكن أن تكون النتيجة بعد ذلك إلا تكفير هذه المؤسسات فتكفير من انضوى فيها

منابر ووسائل أخرى غير المسجد لترويج أفكارها، وتجنيد أتباع جدد لها، تضاعف الخطر بقدر قوة الوسيط وتمكنه من خواطر الناس والشباب منهم خاصة.

فلا يستهان بعدما ذكر بوسيط الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، ولا بوسيط الإذاعة والتلفزيون، وما يتمتعان به من حرية في البث، فضلا عن الأسطوانة، والشريك، والمطوية، والكتيب، والعمل الجوّاري داخل الأحياء الجامعية، وداخلات المؤسسات التربوية، ودور الترفيه والثقافة.

ولكن الذي يعني الدوائر التي نمثلها في هذا المؤتمر إنما هو المسجد، لأنه أكثر مؤسسات المجتمع حساسية، فهو الذي يملئ على مدار نصف ساعة كل أسبوع على الأقل خطابا يصل إلى جميع المرتادين، وهم يرددونه بعد ذلك إلى الأهل والأصحاب. ولذلك فقد حرق النبي صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار لما علم بوحى السماء أنه مسجد سيهدم ولا يبني وأنه سيفرق ولا يجمع، وأنه سيرهب ولا يؤمن. قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: 107 - 110.

العودة من التيه إلى الرشاد:

لا يمكن العودة إلى الرشاد، والخروج من حالة التيه التي يمكن أن يلجها المجتمع بسبب هذه المغالبة غير المتكافئة بين قوى الفكر المتطرف بمختلف مشاربه، وبين المجتمع الذي اعتاد حالة السكينة والطمأنينة، ونما فكره على خسيصة التواكل، واعتبار مشكل أمن المجتمع مشكلا بولسيا،

الحاجة، بأن تعيد المسجد إلى المهمة التي من أجلها بناه المجتمع، وأن يمكن هذا المسجد بسلطة الدولة من القيام بالمهام التي من أجلها أسس وأنشئ؛ لأنه إذا منع من ذلك فإن المجتمع سيلجأ إلى هياكل أخرى غير الهيكل المعد لهذه المهمة، سواء كانت هذه الهياكل البديلة أقبية منازل، أو مصليات سرية، أو فضاءات بمؤسسات المجتمع المختلفة.

لأن المسجد في تقديرنا هو حاجة اجتماعية، والذي دفع المجتمع إلى بذل الغالي والرخيس لبناء المساجد وتشيدها، هو نفس الدافع الاجتماعي الذي حمله على إنشاء مخفر الشرطة، والمحكمة، والمصحّة، والمدرسة، والجامعة.

فحاجة المجتمع إلى التدين لا تقل أهمية عن حاجته إلى التطبّب، والتعلّم، وفصّ النزاعات، وترقية الفكر والاجتماع والاقتصاد. وهي حاجة متناغمة مع حاجته للأمن والاستقرار، وتضارب هذه المؤسسات فيما بينها، أو تضارب المسجد معها يخرم هذا النظام، وينشئ الاضطراب، ويخل بالمعادلة

وليس فكرياً إلا بالتزام الأمة المنهج القرآني في امتثال روح المغالبة، وعدم إزارة الظهر لها، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاطر: 6.

وإن المغالبة التي نحن معنيون بها، وندعو أصحاب القرار في أوطاننا إلى مؤازرتها ودعمها، والاعتقاد بأنها مخلصة إنما تمرّ عبر إصلاح شؤون مساجدنا. لأننا نقدر أن الفضاء الطبيعي للنشاط الديني إنما هو المسجد، وإن أي نشاط ديني يقع خارج المسجد ينبغي أن يصدر عنه؛ ويوجه به.

ومقتضى هذا التصور أن نجعل المسجد قطب امتياز في المجتمع، لا بدافع العاطفة الدينية فحسب ولكن بدافع استراتيجي يهدف إلى تأمين أي نشاط ديني من أن ينحرف عن المصالح العليا للأمة، ويهدف إلى توجيه العاطفة الدينية الأصيلة في المجتمع الجزائري حتى لا تدفعه تلك الجماعات إلى تصرفات مبنية على تأويلات أو فهم خاطئة أو مغرضة.

إنه يقع على دولنا واجب تلبية هذه

الاجتماعية.

على مكتسبات الأمة الاستراتيجية،
ولصيانة المسجد من أن يرتكس في
دوامة الفتنة؛ مع بقائه نشطا فعّالا في
مجال الخدمة الاجتماعية والتوجيه
والإرشاد الديني والأخلاقي.

إننا نحسب أن تمكين المسجد من
أداء دوره الديني والاجتماعي الطبيعي
والاستجابة لانشغالات المجتمع الذي
أسسه هو صمام أمان المجتمع من هذه
الجهة الحساسة من جبهات الدفاع
الاجتماعي.

يجب أن يصبح هذا التصور محل
وفاق بين جميع قوى المجتمع، وأن
نفهم جميعا أن النشاط الديني لا يمكن
إلا أن يكون نابعا من مرجعية أعلى
وأقوى من كل المرجعيات الهامشية،
والمرجعيات التي يمكن إعادة فتح
النقاش حولها، وكل واحدة من الدول
التي تشكل بمجموعها أمة الإسلام
تملك ضمن خصوصياتها ما تؤسس
به لمرجعية في الدين تستمد من كتاب
الله تعالى، وسنة رسول الهدى صلى الله
عليه وسلم ولكنها تحصّنها بالموروث
الحضاري والتاريخي الذي جعل من

لهذا يجب أن نبذل جهدا كبيرا
حيال المساجد التي همشتها قوى
التطرف التغريبي عن الفعل الاجتماعي،
وأوهمتها بأن العلماء هم دوما خصوم
للسلطان من أجل أن نرجع لأئمة هذه
المساجد ثققتهم بأنفسهم، وأن نقنعهم
بأنهم شخصيات غير منبوذة في نظر
مؤسسات دولتهم، بل هم في الصدارة
المعنوية للمجتمع. وأن نبذل جهدا
لا يقل عن هذا كثافة حيال المساجد
التي أقحمتها قوى التطرف الأخرى في
شجار وخلاف مع مجتمعاتها، وسوّلت
لها مخاصمة مؤسسات المجتمع،
ومغالبتها، والسعي لأن تكون عنها
بدائل من أجل أن نرجع هذه المساجد
إلى مجتمعاتها، وإرجاع الإمام إلى
حظيرة المجتمع. وجعله من منطلق
المسجد الذي يشرف عليه متعاوننا مع
كافة مؤسسات المجتمع الأخرى، غير
معارض لها وغير مصادر ولا مستأثر
بالمهام الموكلة إليها.

إن هذا التحدي يفرض علينا أن نرسم
استراتيجية جديدة وواضحة للحفاظ

الفاعلين في المجتمع إلى مشاركته التفكير، وأن يخرج هو إلى مؤسسات المجتمع ليبحث في روعها وحي السماء، ويؤلفها بأخلاق الرعيل الأول من جيل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتربويا فإن مشكلة التثقيف هذه هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار، لا إلغائها، ولا مصادرتها، ولا تسفيهاها إلا ما كان بين الخطأ؛ ولذلك يقع على عاتقنا واجب تحديد المعنى العام لفكرة التوجيه.

فالتوجيه بصفة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير، ووحدة في الهدف فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه.

والتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد العربية والإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت والمهم أن ندير

مجتمع كل دولة مجتمعا متميزا عن المجتمع الآخر ولكنه مكمل له في آن.

معالم الرشاد:

إنّ تمكين المسجد من أخذ مكانه في المجتمع كمؤسسة رائدة في مجال التوجيه الديني، وكمؤسسة مكّلة لمؤسسات المجتمع الأخرى في مجال الخدمة الاجتماعية، هو في تقديرنا عين الوسطية في تسيير شؤون الأمة. وإن هذا التمرکز سيسفّه دعاوى العدوان الفكري، فلا المسجد بهذا انعزل عن المجتمع، ولا هو حل محلّ المؤسسات الأخرى.

والمسجد بأئمته اللذين أصبحوا يشعرون أنهم في نفس الجبهة إلى جانب السياسي والعسكري والقاضي والأستاذ والصحفي ضد الإرهاب الفكري، ينبغي عليه أن يخوض حركة تثقيف شاملة، تقرّب معاني الدين الوسطي من عقول الناس، وتمكّنه في قلوبهم وتقوم في ذات الحركة بشحذ همم المجتمع من أجل التنمية والاستقرار والتعلم، ومواكبة التطور وتحصيل العلوم، ولا يكون ذلك إلا من خلال العمل الجمعي المؤسستي، التي يستقطب فيه الإمام رجال الفكر

حضارة فإنه يستخدم نفس الغريزة ولكنه يهذبها ويوظفها بروحية خلقية سامية.. هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها من نزول الوحي، عندما تولد الحضارة ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض. كما يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بُصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢)

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿الأنفال: ٦٣ - ٦٢﴾

12/ يجب أن يقوم المسجد بالتوجيه الجمالي لأفكار المجتمع:

فلا يمكن لصورة قبيحة أن توحى بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالاً أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لا بد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه والأفكار بصفته روح الأعمال التي تعبر عنها أو تسير بوحياها، إنما تتولد من الصورة المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي والتي تنعكس في نفس من يعيش فيه، وهنا تصبح صوراً

هذا الجهاز الهائل المكوّن من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان وإرشاده نحو المأمول.

إنه لا يكفي مطلقاً أن ننتج أفكاراً، بل يجب أن نوجهها طبقاً لمهمتها الاجتماعية المتحدة التي نريد بها رقي المجتمعات وتقدم الأمم. والذي يضطلع بالتوجيه إنما هو المسجد فهو القلعة التي ترتطم عليها فلول التطرف الفكري، وتنكسر أمواج العدوان الثقافي.

1/ يجب أن يقوم المسجد بالتوجيه الأخلاقي الاجتماعي،

وليس المقصود هنا تشريع مبادئ خلقية بل نحدد قوة التماسك اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في الجماعة عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعقيدة والمدنية والأمة وتستخدم القبائل الموغلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع. والمجتمع الذي يتجمع لتكوين

التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوماً. وإذا ما أردنا حصراً لهذه القضية فإننا نرى سببها الأصيل في افتقارنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه بين سياسة ووسائلها، بين ثقافة ومثلها، وبين فكرة وتحقيقها فسياستنا تجهل وسائلها، وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا، وأن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها.

4/ يجب أن يدرّب المسجد المجتمع على الفن التطبيقي أو الصناعة: ونعني بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم لأنها تدخل في مفهوم الصناعة ومن المسلمّ به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه.

وهذه العناصر الأربعة التي نمارسها فعلاً في مساجدنا، ولكننا استمددنا التعبير عنها من واقع مؤلفات المفكر الجزائري السيد مالك بن نبي رحمه الله تتكامل لكي تشكل نسقاً يبدأ من الفكرة

معنوية يصدر عنها تفكيره فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح، وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره ويطبّعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل، أو السماجة القبيحة.. فالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعاً إلى الإحسان في العمل وتوخياً للكريم من العادات.

3/ يجب أن يقوم المسجد ببث المنطق العملي في المجتمع: ونعني بالمنطق العملي كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئاً بغير مقياس يستمد معايير من واقع الوسط الاجتماعي وما يشمل عليه من إمكانيات أنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياساً نظرياً يستنتج به نتائج من مقدمات محددة غير أنه من النادر جداً أن نعرف المنطق العملي أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة. ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا غير أن العقل

وينتهي بالإنتاج، وينبغي القول في هذا الإطار أن اختلاف مضامين الثقافات يؤدي إلى اختلاف الآثار على المستوى المجتمعي.

فإذا كانت مضامين الثقافة صالحة - دينامية - فإن هذه الثقافة ستكون عاملاً مهماً من عوامل النهوض بالحياة الاجتماعية. وإذا كان مضمون الثقافة فاسداً سيئاً فإنها ستؤثر على فاعلية المجتمع وتجعل النمو الاجتماعي صعباً أو مستحيلاً.

ويعلمنا التاريخ أن عالم الأفكار هو الأساس في عملية النهوض الحضاري لأي مجتمع، بمعنى أن بقاء نظام الأفكار سليماً وفاعلاً سوف ينقل المجتمع إلى الواقع الأحسن.

ويشير المفكر مالك بن نبي رحمه الله إلى هذه المسألة بقوله: "لقد أرانا تاريخ ألمانيا الحديث، كيف أن بلداً شهد الانهيار الكامل لعالم أشتائه قد استطاع باحتفاظه بعالم أفكاره أن يبني كيانه من جديد" [شروط النهضة]. وفي مقام آخر قال: "إن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل،

وإنما في الأفكار..." [مشكلة الثقافة]

ومقتضى هذا التمرکز أن نجعل من توجيه الإمام في مسجده موضوعاً ذا أهمية مركزية في دولنا، عبر خطوات منهجية وعملية، سبق لبلدي الجزائر أن طبّقها وأنها أينعت ثمرات دانية، وبسطت ستر المصالحة بعد أن نزع الشيطان بين أبناء الجزائر.

فتكوين الأئمة الذي يلقن فيه الإمام الأساسي من علوم الدين الإسلامي ينبغي أن يشفع بتكوين مهني يعتمد على تبصير الإمام بالمستجدات، والتحديات، وقضايا الأمة المشتركة، وتقريب مستواه في استيعاب مشاكل المجتمع من فهم القائمين على معالجة هذه المشاكل.

كما أن تأثير المرأة على الرجل الذي ثبتت قوته في المجتمع الإنساني ينبغي توجيهه أيضاً بانتداب نساء مثقفات بنفس ثقافة الإمام يستفدن من نفس التوجيه ويوظفن مرشحات دينيات في المساجد، والمدارس القرآنية.

وإذا كان العلم في الزمن الأول يؤتي ولا يأتي فإنه في هذا الزمان ينبغي أن

إنشاء فضاءات مؤسسية لعالم الأفكار مهما كانت متباينة، فالمشكل ليس في التعبير عن الأفكار أمام المثلث الثقافي، ولكن في بثّ أفكار لم يحكم بنضجها على عامة الناس، وتلقينها للشباب من دون أن يحضى هؤلاء الشباب ببثّ نقد لهذه الأفكار، ومن دون أن تكون لهم حصانة ضدّ الخطير منها.

هذه بعض ملامح الحركية الفكرية النابعة من التصرّو المنوّ به، ولكنها تبقى نماذج مجتثّة من منظومة دينية متكاملة عكفت الجوائر على تجسيدها من عشر سنوات خلت حتى اشتدّ لوطني عوده، واستعاد عافيته. ■

ملاحظة: للموضوع مراجع

يقتحم على المجتمع سباته وغفلته، وإنّ واحدا من أهمّ أماكن ترعرع الفكر المتطرف هو السجون، فينبغي تنسيق الجهد مع القائمين على هذه المؤسسات العقابية، من أجل إقحام الإمام والمرشدة الدينية في تهذيب الأفكار، والاحتياط للتطرف، ومساعدة السجين على الاندماج الاجتماعي بعد الإفراج عنه.

كما ينبغي توجيه الخطاب الديني النابع من غير المسجد، لا بمصادرته ولكن بالمشاركة فيه، وبترشيد، لأنّ كثيرا من وسائل الإعلام ينمّي العدوان الفكري على أمة الإسلام من حيث تريد أن تتميز أو تنال الربح السهل.

